الأعشاب والنباتات الطبية كعلم للصيدلة في العراق القديم مصطلحاتها اللغوية- اهميتها واستعمالها

الأستاذ الدكتور عبد الإله فاضل
جامعة بغداد – كلية الآداب

في أطراف العالم بأسره وخلال فترات الحضارة الإنسانية كافة أستخدم الإنسان النباتات كمصدر للمتعة والراحة وكدواء للمحافظة على الصحة . وهكذا استطاع هذا الإنسان العثور في بيئته النباتية التي كان يعيش فيها على أصناف نباتية ذات قدرات علاجية وتأثيرات نفسية أستخدمها في علاج الأمراض وكمنشطات أو كمخدرات[١] .

ونقرأ في أحد اقدم النصوص الطبية هو كتاب عقاقير يعود تاريخية إلى عصر سلالة أور الثالثة[٢] ، أن أهمية النباتات الطبية وقدرتها العلاجية كانت معروفة في الألف الثالث قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين ، وأن الأطباء السومريين كانوا يمتلكون مجموعات من الوصفات الطبية بين أيديهم . وكان هذا الكتاب الذي نطلق عليه كتاب العقاقير يحتوي على وصفات عديدة تضم مركبات ذات طابع معدني مثل كلوريد الصوديوم tabtu (الملح) وكاربونات البوتاسيوم uhulu ، إضافة الى مركبات من عالم الحيوان مثل الحليب sizbu ومركبات من عالم النبات كالأعشاب مثل الآسو Asu الآس وأحدى أنواع نبات الحلتيت nuḫurtu والزعتر ḫasu ، إضافة إلى ثمار شجرة الكمثري Kamessaru وشجرة التين ṭiṭṭu والتمر Suluppu [٣] .

أن قسما من الكتب الطبية التعليمية من الألف الأول قبل الميلاد التي وصلتنا من مكتبة آشور بانيبال (٦٥٠ ق.م تقريباً)[٤] تتكون من مختصرات بسيطة تذكر في عمودين عقاقير طبية وإلى جانبها الأمراض التي تشفيها ، أو في

ثلاثة أعمدة تدرج فيها العقاقير الطبية والأمراض وطريقة استخدام الدواء . فمثلاً عرق السوس لعلاج السعال مطحونا ويشرب مع الزيت والبيرة[٥] . أو جذور زهرة عباد الشمس لعلاج آلام الأسنان ، وذلك بوضعه على الأسنان[٦] . وهناك أيضاً كتب طبية كثيرة تصف المرض والدواء واستخدامه بصورة أدق . وهكذا كانت أمام الطبيب العراقي الذي يعمل معالجا صيدلانيا أصناف من المصادر العلمية تحت تصرفه ، مصادر تتدرج بين فهارس خاصة بالأدوية وفهارس بالأمراض حتى المصادر المحتوية على أعراض الأمراض والتشخيص والتنبؤ بل تعليمات تتطرق الى التفاصيل الدقيقة لمعالجة مرض معين . ولكن لا يجوز لنا أن نهمل الحقيقة القائمة آنذاك وهي غياب الفصل التام بين نصوص العلاج الطبي والعلاج بالسحر ، لذلك يمكننا الأستنتاج بأن الطبيب كان يستخدم النوعين معا . وهكذا نجد أحيانا في تعليمات العلاج عبارات سحرية ، وكذلك نجد في تعليمات تحضير الأدوية تعليمات طقوسية على صانع الدواء أتباعها[٨] .

وكانت الأدوية التي يوصي بها الطبيب للعلاج متوفرة على شكلين ، أما على شكل مرهم للإستخدام الخارجي ، أو على شكل مرشح أي مسحوقاً يُذاب غالباً في البيرة يشربه المريض .

ومما يجدر ذكره أن التعليمات لا تتطرق الا نادراً الى ذكر أوزان المواد المستخدمة لصنع الأدوية . لذا نجد أن تلك التعليمات تشير في تحضير مختلف[١٠] الأدوية إلى مزج (المواد بكميات متساوية) أو (بأجزاء متساوية) . حتى أننا نعلم من وصفات من هذا النوع كم هو الوزن المقصود[١١] . مثال : (١٠) شيقل من وزن الصنوبر (راتنج) – (١٠) شيقل عرعر – (١٠) شيقل خردل – (١٠) شيقل من صمغ الوشق (صمغ راتنجي من شجرة القناوشق) – زعتر Salicormia Alkali هذه المواد الستة علينا أن نشربها لتنظيم المرارة .

الا أن مثل هذه المعطيات القياسية غائبة في أغلب الأوقات وتعد من الأمور النادرة جداً ، أو عند أستخدام بعض الأدوية السامة جداً مثل اللفّاح والبنج (نبات ذو خصائص مخدرة وسامة) . ولا بدّ أن الطبيب كان يعرف أن لبعض

الأدوية جرعات الحد الأقصى . ومن الواضح ان الاهتمام النباتي كان يرتكز بالدرجة الأولى على استخدام النباتات والشجيرات والأعشاب في فن الطبابة . ولنا أن نعتبر الأطباء الذين كانوا يستخدمون في عياداتهم أعداداً من الأعشاب والنباتات أختصاصيين في علم النبات لأنهم كانوا يعرفون حق المعرفة مفعولها بدقة . وهكذا كانت أمام المريض في بلاد ما بين النهرين الفرصة لمراجعة نوعين مختلفين تماماً من عارفي علم الطبابة وهو الأشيبو Asipu [١٢] وهو المختص الذي يستخدم الأساليب السحرية في الشفاء ، وكان له دون شك تأثير نفسي وعلاجي عميق ، بينما كان الطبيب الممارس ويمكننا أن نعتبره (أول صيدلاني) ويُعرف بالآسو asu [١٣] ، كان يعتمد في علاج مرضاه بمفهوم طبي صرف على أعطاء وصفات عديدة من الأدوية المستخرجة من النبات والأعشاب وكان عدد النباتات الطبية المستخدمة في العراق القديم يبلغ (٢٥٠ تقريباً) منها (١٢٠) مواد معدنية – (١٦) مادة حيوانية قام بدراستها والتعرف عليها كامبل تومسن .

Thompson. A dictionary of Assyrian Botany, London, 1949 .

ونباتات أخرى لم يتم حتى الآن دراستها والتعرف عليها[١٤] . ونجد بين المواد الطبية لبلاد ما بين النهرين الأدوية النباتية التالية[١٥] :

أثمار من الرمان nurmû والتين ṭittu والخضروات العادية مثل الكراث sumu والبصل bisru والخيار qissu ، وأنواع الحبوب مثل الشعير والحنطة أو الدخن ، كما استخدمت التوابل في كثير من الأوقات مثل الشخرة والزعفران والزعتر والخردل والكركم أو الأزهار مثل الورد وشقائق النعمان . كما كان هناك أيضاً عدداً متنوعاً من الأشجار والنباتات الصمغية (الراتنجية) التي كانت جزء من الوصفات الطبية ، غير أنها (Ferula asa fotida) ربما تعني الحلتيت والعرعر وغيرها .

وكانت أشجار البلاد وشجيراته مثل النخيل والسرو والطرفة والآس وغيرها توفر كثيراً من العقاقير الطبية التي تستخلص من جذورها وأخشابها وأوراقها وأثمارها وعصاراتها المفروزة نت جذوعها ، وبين تلك الأدوية ذات

المفعول القوي الببنج (نبات ذو خصائص مخدرة) والببروح (اللفّاح) نبات عشبي من الفصيلة الباذنجانية .

وينبغي أن تُرينا التعليمات الأسلوب المشترك لأستخدام النباتات الطبية ، والتي خففت من أمراض أبناء البشر أو شفتهم منها ، تلك المستخلصات المذكورة في علم الطبابة العراقية وكذلك قوائم العقاقير الطبية والتي استخدمت حتى يومنا هذا .

وهكذا استخدم أطباء بلاد الرافدين الوصفة التالية مثلاً لتخفيف ظاهرة الخرس[١٦] وتتألف هذه الوصفة من أربعة أقسام :

١ - تعداد مواد الأدوية .

٢ - وصف المرض .

٣ - تناول الدواء .

٤ - المفعول .

ونص تعليماتها كما يأتي :

الحلتين (أنجذان)، زعتر ، الخردل ، زهرة السواك ، نبات مخدر ، نعناع، زيت أرز ، سذاب ، (١٥) حبة ملح الصحراء ، (١٥) بذرة ترمس ، (١٥) حبة نبات طبي (١٥) حبة نبات متسلق ، شيقر من بذر شجرة الأثل (الطرفة) ، Saliome Akali ، بذور نبات uru-an-na ، الكركم ، بذور العرعر ، (١٧) نبتة طبيّة مجربة ، أوصى بها سبعة متخصصين لظاهرة الخرس ، وذلك في أجتماعهم . وينبغي على المريض أن يشرب هذا الدواء ممزوجا بالجعة أو الخمرة أو في (خمرة اللبن) أو الحليب أو عليك أن تجففه وتذره في فم المريض .

لن يؤثر على الإنسان إذا أخذ هذا الدواء ، أي سحر أو أضرار أو شعوذة ولا (قطع النفس) ولا ظاهرة الخرس ولا التهمة الباطلة ، سيجلو قلبه من الغضب، ستبرد أحشاؤه الحارة ، سيصبح زفير فمه للأله والملك طيبا ، (سيخرج الحقد من جسمه) .

وفي هذه الوصفة يذكر بين ما يذكر من النباتات الطبية شجرة الحلتيت[١٧] (انجان) وهو نبات يستخدم في علاج الأمراض النفسية والعضوية مثل الخرس وتحتوي هذه على مواد فعالة رئيسة مثل الراتنج (مصغ الراتنج) والمطاط والزيت الأثيري وموطن هذه النبتة هو الشرق .

ونبتة الحلتيت تستخدم اليوم على شكل جرعات صغيرة كاللقاح المضاد وخاصة في الظواهر المرضية النفسية مثل الهستريا وكذلك لعلاج ألتهاب القصابات ، وكذلك يرد ذكر الزعتر أيضاً[١٨] . فالزيت الأثيري السائل الذي يحتوي هذا النبات مركب من عناصر فعالة بينها حامض الكاربونيك ويتحول (زيت الزعتر) وكار فاكرول وعلى أحماض التربنتين ويشفي التشنج ويخفف السعال ويساعد على الهضم والمواد الفعالة في الزعتر تستخدم اليوم في الطب للمعدة وللأعصاب وللسعال وكمادة للمسح على الجلد . وقد ذكرنا سابقاً أن الزعتر يستخدم مع غيره من النباتات الطبية ضد ألتهاب القصبات ويرد في الوصفة التالية[١٩] المتكونة بدورها من أربعة أقسام أي وصف الأعراض ، تعداد النباتات الطبية ، استعمال المواد والتشخيص النص التالي :

(عندما يصيب المرض صدر إنسان والجزء العلوي من جذعه ، فتدل الأعراض على آلام الجنب المتعلقة بغشاء الرئة والرئة . ويقابل ذلك التهاب القصبات ، ولشفائه عليك أن تمزج تربنتين وزيت بذور الزعتر وبذور السرو ، والميغ [بلسم الاصطرك] نبات من نباتات التوابل ، بخور ، عليك أن تُهيء مادة مستخلثة [بالاغلاء] من أجود انواع البيرة [الجعة] وتبلل به ظهر المريض وتغطيه وعليك عمل مسحوق من نبات أبيض وتمزجه بيرة [جعة] فاخرة ويشربها المريض فيشفى) .

ويبدو أن أمامنا في هذه الوصفة واحدة من أقدم الأدوية في تاريخ الطب ، أي التربنتين[٢٠] . والتربنتين عُرف بمصطلح bututu يعطينا في مادته الصمغية (الراتنجية) مادة التربنتين التي على شكل بلسم يمكن أن نستخلص منه زيت التربنتين بعملية التقطير ، وهو زيت أثيري ، ويمكن تحويل المواد الفعّالة في

التربنتين إلى مرهم ، أو يمكن استخدامها بلسما في حالات الأصابة بالبرد والالتهاب النزلي (الصدر) لغرض تخفيف آلالام و تخفيف آلام الأورام وتبريد حرارتها . وهذا الدواء يستخدم اليوم على شكل بلسم يتركب من التربنتين والبلسم ويستخدم لحالات الأصابة بالبرد ، للمسح والأستنشاق . وهناك وصفة أخرى[٣١] تبين لنا أن المواد الفعالة للتربنتين يمكن استخدامها داخلياً أيضاً ، أي في حالات مرض الكلى ويتكون هذا الدواء من الأقسام التالية :

١ - وصف الأعراض .

٢ - تعداد الأدوية .

٣ - وسائل أخذ الدواء .

٤ - التنبؤ بنتائج العلاج .

ونص الوصفة ما يلي :

(عليك ان تمزج ملح البارود الأسود [نترات البوتاسيوم] مع قشور بيض النعام والتربنتين وإذابتها بعصير العنب وتحريكها بقوة ويشربها المريض) . ولا ندري ، مع الأسف ، كم كان هذا الدواء يخفف من آلام المريض وإلى أي حد . لكن التحليل العلمي للمواد المركبة لهذا الدواء يرينا أن ملح البارود وكذلك التربنتين يحتويان على عناصر فعالة صالحة لتنضيف الحالب وأن قشور بيض النعام التي تتكون من ٩٧% من كاربونات الكالسيوم لها خاصية شبيه لتنظيف الحالب . وهكذا يمكن القول أن تلك المواد يمكن أن تؤدي إلى دفع الحصى القابلة للتفتيت من الحالب إلى الخارج .

والوصفة التالية تصف الأعراض والدواء وطريقة استخدامه وعلى الشكل التالي :

(هكذا حدث لصدر رجل سقط في الماء وأخرج من حيث بدأت عنده آلام في الجنب أو في الصدر وضاق نفسه في الشهيق والزفير ، فلكي تشفي هذا الرجل عليك أن تدفئ صدره بماء تغلي فيه شمرة (Fenchel) وتوضع بكمادات على الصدر ، وعليك أخذ كميات متساوية من بذور العرعر والبلسان المكي -Mekka

Nlelisse ... وتخفف وتوضع في الجعة (البيرة) داخل صحن من النحاس وتحضر مستخلص تضعه على مادة تثبتها بمسحها على صدر المريض وسيشفى).

وبالنسبة الى التهابات الرئة والأضلاع فهناك وصفة طبية لدى أطباء العراق القديم والتي تدخل فيها مادة الشمرة (الينسون) Simranu [٢٢] (Fenchel) كدواء . والمشرة بسبب ما تحويه من زيوت أثيرية كثيرة تستخدم كدواء مسكن ضد السعال بل أنها أيضاً تحتوي على الفيتامينات (C.B.A) ولها مفعول الدواء المقشع والمساعد على الأدرار ويخفف التشنج والقضاء على الديدان في البطن ، وطرحها . ويمكن استخدام الشمرة خارجياً وداخليا . وتستخدم الشمرة اليوم في الطب ، كماء الشمرة وهو خلاصة زيت الشمرة ، وهو دواء طارد للغازات .

هذا النوع من العلاج لمرض التهاب الرئتين والتهاب غشاء الرئة بكملات من ماء الشمرة مع البلسم استخدم في أوربا أيضاً واستمر استخدامه حتى تمّ اكتشاف استخدام المضادات .

المصـــادر :

المختصرات راجع كتاب :

Rycle Borger "Handbuch der Keilschrift literatur II. (Berlin. 1975) , P. XI – XXXII .

ولتعيين اسماء النباتات راجع :

Thompson. R.C. , A Dictionary of Assyrian Botony and the Assyrian Herbal .

(1) Hass. H. , Ursprung Geschichte und Idee der Arzneimittel. Zurich. 1981 .

(2) Lagrain. L., Nippur Old Drugstore in University Bulletin. 8. 1940 . P. 25-27 .

(3) Oates. J., Babylon Gladbach. 1983 , P. 217-218 .

(4) Thompson, R.C., Assyrian Medical Texts. 1973 .

(5) Meissner, B., Babylonien und Assyrian, Band II, Heidelberg, 1924 . P. 295 .

(6) Meissner, Ibid, P. 295 .

(7) Oppenheim. L., Ancient Mesopotamia. Chicago. 1972 . P. 290-291 .

(8) Biggs. R.D. , Babylonian Inkankheit, Heilkunde. Heilung Munch M. 1978 . P. 191-114 .

(9) Goltz. D.S. , Studien zun Altroientalischen und griechischen Heilkunde. Therapie Arznei bereitung – Regeptstrucktur in : Sudhoffs Archiv Beheft . 16 . Wiesbaden, 1974 , P. 20 .

(10) Thompson, R.C. , Assyrian Prescription for Diseases of the Wrin in Babyloniaca. 14 , 1934 , P. 108 .

(11) Labat, R. & Journay, J., Un Texte Medical Inedit in RA40. 1945-1946 , P. 114-118 .

(12) Ritter, E., Magical Expert (= asipu) and Physician (asu) Notes in Tow Complementary Profession in Babylonian Medicine in Studies in Honor of B. Landsberger on his 75 Birthday April 21, Chicago, 1965 , P. 299-321.

(13) Ritter, Ibid, P. 308 .

(14) Thompson, R.C., A dictionary of Assyrian Botany, London, 1949 .

(15) Meissner, Babylonien und Assyrien , Band II , P. 304-306.

(16) CBC 14, 161, Bearbeitet Von Leichty, E in : A Scientific Humanist , Philadelphia , 1989 , P. 261-264 .

(17) Roth. L., Daunderer , M. Gift list in (Toxikologische Enzyklopadie, Munch , 1986 , IV – 7 , F.S. 318 .

(18) Delaveau, P. Geheimnise und Heilkrafte der Pflanzen , Zurich , 1980 , P. 271 .

(19) AMT, 49.I

وقد بحثها :

Thompson R.C. , in RA31 , 1934 , P. 5.

(20) Delaveau, Ibid, P. 518-519 .

(21) AMT, 39 . 6.

Thompson, in Afo 11 , P. 337-338 .

(22) Ibid, P. 340 .

(23) Delaveau, Ibid, P. 98 .